«كتاب الانسان» رحلة في الباطن: من العمق والفضاء الى الخالق ...

يندرج «كتاب الانسان» ضمن سلسلة المعارف الباطنية التي تعنى بنشرها «منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء».

* * *

وقد صدرت حديثا الطبعة الرابعة لهذا الكتاب، وتضم ١٥٩ موضوعاً مختلفاً في ٢٦٤ صفحة من القطع الصغير. المقدمة بقلم المحامي موسى برنس.

«كتاب الانسان - كتاب من يفضلون الاسمى» بقلم مجموعة من المعلمين الحكماء. وقد جمع الاحاديث التي يحتويها الكتاب واسهم في شرحها الاستاذ «ج ب م» اهداؤه موجة «الى الطامحين نحو الحياة المكتملة، الحياة الكبرى عبر الحياة الصغرى»

وفي تعريف الكتاب جاء اما: «كتاب الانسان» كتاب يضم باقة من احاديث علمية باطنية وتطبيقية حياتية، القيت على مجموعة من طلاب محدودي العدد، موجهة بصفة خاصة، الى الذين يدركون علم الانسان الباطني ويدأبون في السير نحوه، ويودون استرشادا به وتعمقاً فيه:.

العدد الهائل من المواضيع التي يضمها الكتاب، والايجاز البليغ الذي عولجت فيه، يجعل منه منارات استلالية للانسان الهداف الى البحث عن المعرفة. والذي اختار الذات طريقا الى الله.

والكتاب مقسوم الى اربعة اقسام مترابطة الاهداف، وموضوعه الوحيد هو الانسان.

الجزء الاول منه يبحث في «غاية الرب من خلق الانسان» وفي «اصل الانسان» مرورا بـ «السمو فوق المادة» و «انسان المستقبل» الذي يبلغ درجة عالية من الفهم والمعرفة حين ينزع من نفسه البغض والخوف والشك، ويبذر المحبة والامل والصفاء مكانها، وعندما يهيء نفسه ليمنح المميز للغير.

ومما قاله الحكماء عن الانسان ان «الانسان هو الكلمة، والرب هو المعنى. لا كلمة بلا معنى، ولا معنى بلا كلمة.» وفي جواب حول السؤال التالي «امسيّر الانسان ام مخيّر؟» نقرأ ان «الانسان مخير في ما يعرفه مسير في ما يجهل.

مخير في اختيار طريق المعرفة او الجهل... ومسيّر في تحمل نتيجة اعماله...»

ثم ينتقل البحث الى «درجات الوعي السبع في الانسان» و «انواع البشر السبعة» و «اجسام الانسان السبعة» و «مراحل الحياة السبع» ثم «الدرجات السبع في درب الانسانية الاكبر نحو الكمال»، لينتهي الجزء الاول بتساؤل طالب معرفة ينقب عن مصيره: «ايتها الذاكرة الكونية، اين مصيرنا فيك؟» ويأتينا الجواب التالي: «... الحقيقة متسربة في خلاياك ... وما على البشري الا ان يملك البصيرة لالتقاط ذبذباتها والاستنارة بمحتوياتها، ليطلع على ما ماضيه ومستقبله...»

وتطل بنا الكوة الاولى من الجزء الثاني للكتاب على عالم العقل وتفتيحه. هذا التفتيح الذي يبدأ اولا «بالتفكير في كل صالح ومفيد، ثم بالتركيز الذي يضخم وعي التفكير ويقوي مقوماته الى الانطلاق في رحاب العلم المادي والباطني...» وتتوالى المواضيع بتراب وتركيز حول التفكير والعقل والحقيقة. وفي «السعي في سبيل التطور» نقرأ: «التطور المادي يبدأ من الناحية الجسدية، يبدأ بايداع الجسد ورغباته غير الضرورية تحت سلطة العقل...»

ونصل في «الانسان والحقيقة» الى الخلاصة التالية: «الانسان هو الحقيقة، هو الاله متنكرا حتى ينزع القناع...»

والعلوم الباطنية التي هي «الجذر الذي يتخطى الظواهر في العلوم حتى جوهر الانسان، وعلاقته بالكون والارض، ويتطرق الى ماضيه ومستقبله وعلاقتهما بحاضره». هذه العلوم تسعى الى «معرفة الرب في الانسان ومعرفة الانسان في الرب» من هذه المنظار، هي تبحث عن الحقيقة الانسان والله والكون.

ويختتم «تأمل في الحكمة» الجزء الثاني من الكتاب، باعتراف معلم يناجي الحكمة بقوله: «جاهز انا لا نصهر في بوتقتك. فاحملييني الى سرمدية الروح، الى اللانهاية.»

ويدور الجزء الثالث من الكتاب حول الالم والعطاء والمحبة والايمان والصلاة.

فالالم «رمز العدل والصاقل الاكبر للانسان».

والانسان هو الذي خلق آلامه عندما غاص في المادة بعد ان تخلى عن الغوص في اعماق ذاته وروحه. لكن هذاالالم ليس عذابا جسديا، كما هو شائع، بل الم المعرفة وعذاب والفهم. الم المحب يرى البغض حوله، والم المؤمن يرى الكفر حوله... وفي موضوع العطاء يوحينا المعلمون بالعطاء الروحي، عطاء المحبة والمعرفة. «اعطوا! فإن في العطاء نفياً للانانية والكره والبغض. اعطوا! فإن في العطاء محبة وإيماناً واملاً.» واذا كان علينا ان نعطي، فعلينا ان نحب كذلك لان «المحبة هي العطاء الاكبر»، ولأننا بالمحبة نكتمل، وننضم الى الله لنحيا في ابديته، ولنستقر في لدنه.

وبعد المحبة نصل الى مفهوم الصلاة في العلوم الباطنية، فنجد انها «همس الروح للقلب، تتصاعد منه ابتهالات كأنها انغام دون موسيقى... او تخرج من الفم وشوشات عذبة تمس شفاه السامعين، وتحمل المصلي الى رب الصلاة.»

وفي باب «لحظات تأمل» ينتهي الجزء الثالث بمناجاة روحية نسمع منها: «ايها التأمل، يا جالب الغبطة الروحية... سأدخلك لانفذ الى روحي، لأعاينها واكلمها...»

اما الجزء الرابع والاخير من «كتاب الانسان» فيركز على النفس والروح. ويخبرنا المعلمون ان المعرفة الباطنية هي العلم الوحيد الذي يؤهل الانسان الى حل ازدواجية الالغاز في نفسه، ويؤهله الى معرفة النفس الحق، الى قوى النفس الخفية. وقهر النفس هو الخطوة الاولى لابعاد السلبيات عن حياتنا، وللتحليق في سماء اللامادة محرري الارادة، واسيادا على نفوسنا.

ولا تكتمل النفس الا حين «تتخذ المعرفة طريقا، والحكمة مقصدا، والمحبة نوراً...» وهكذا تسير صوب الكمال، صوب «الروح القدس او نفس الله» فيعي الانسان نفسه ويتحد بالخالق.

وفي محاولة لتفسير ماهية الروح التي «مصدرها الرب الازل، ومقصدها الرب الابد» نجد ان الروح هي اشعة الشمس... انها الحياة في الانسان، والمعنى في الكلمة... بتعبير اخر، هي حياة الله على الارض.

والارتقاء بالروح يتم حين تتغذى بالمعرفة. وترتوي بالفهم. وعندما «ترتدي ثوب المحبة والايمان والامل.»

وبين الانسان والروح مسافة في الزمن والصيرورة.

فالإنسان «هو الازدواجية والروح الاحدية. الإنسان فيه الشر والروح في الخير الانسان هو المدرسة والروح هي المعرفة...»

وينتهي كتاب الانسان في اقوال حول رسنيرفانا والسعادة والغبطة الابدية.

ويودعنا المعلمون بالتوصيات التالية: «لتكن سعادتنا سعادة من يسعى لمعاينة ربه وكله امل بالوصول اليه.

لتكن سعادتنا سعادة من يرى الجهل حوله فيقابله بالمعرفة... ومن يرى الكره حوله فيقابله بالمحبة...»

في الحقيقة، يحمل «كتاب الانسان» بين دفتيه سفرا في باطن الانسان وتساؤلاته، وغوصا عن حقيقة الوجود والخالق. ويقدم بالاضافة الى ذلك نهجا للحياة، ويفلش امام بصائرنا عالم الماورائيات والباطنية والعمق الانساني. كتاب لا يمكن اختصاره. انه وعد الإجابة والحقيقة.

* صدر حتى الان عن «منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء». وللمؤلف نفسه الاستاذ «ج ب م.» الكتب التالية: «كتاب الانسان»، «الرسائل العشر» «ارشادات الى العالم الباطني في الانسان»، «آراء الحكماء في الوجود والانسان»، «احرف حبك»، «علم الارقام وسر الصفر» واخيراً «رسالة معلم حكيم الى تلاميذه».

سمير فرحات

جريدة البيرق ٦/٩/١٩٨٧